توطئة:

الرسالة باب من أبواب النثر الفني البديع، نافست الشعر في كل عصر ومصر، حتى في أزهى عصوره، تواجده كان كالوحي الجميل يتربص بصاحبه، ويكون ضيفه في أوقات الصفاء، يَرِد على القرائح كما يرد الشعر على الخواطر، فتعددت أنواعها وتفرعت وتشعبت مواصفاتها، وتنوعت آليات كل نوع وتصنفت، وساهمت في إبراز مقدرة الكاتب وموهبته وروعة أساليبه البيانية القوية.

مفهوم الرسالة في اللّغة والاصطلاح:

الرسالة لغةً: ،

يعود اشتقاق لفظة (رسالة) إلى المادة اللغوية (ر س ل)، تطرقت إليه معاجم اللغة العربية فذكره الفيروز آبادي من أن«الرَّسَلُ، مُحَرَّكَةً:القَطيعُ من كلِّ شيءٍ، ج: أرسالٌ»(1)، وفي الحديث: «"إلاَّ مَنْ أَعطى في نَجْدتها ورِسْلِها"، يريد الشدَّة والرخاء. والرِسْلُ أيضاً: اللَبن. وقد أَرْسَلَ القومُ، أي صار لهم اللبنُ من مواشيهم»(2)، و(الرَسلُ): «القطيع من الإبل أو الغنم، يُقال: أرسلوا أكثر رَسَلِهم أي قطائع»(3)، ثم تطور المدلول إلى الإرسال بمعني التَّوجيه والاسم رِسالة ورَسالة (4)، وذُكر في معانيها غير ذلك.

الرسالة اصطلاحاً:

وردت لفظة الرسالة في اللسان العربي منذ العصر الجاهلي بما يؤديه المُرسَل إلى المُرسَل إليه من نقل الأخبار والإبلاغ بها مشفاهة، واستمر حتى مطلع العصر النَّبوي إذ أخذ سياقات متنوعة فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع عديدة إفراداً وجمعاً مقترناً . حصرا . بما يدل على النَّقل الشفهي، منها قوله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ:﴿يَا أَيُّها الرُسول بلِّغ ما أُنزَل إليك من ربِّكَ وإن

(1).الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص1005 .

(2).الجوهري، الصحاح/ تاج اللغة وصحاح العربية،ج4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1987، ص 1709.

(3).ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، مادة رَس َل: 11 / 281.

(4).المرجع نفسه والمادة نفسها.

لمْ تفْعل فَما بلّغت رَسالَتَهُ﴾سورة المائدة:الآية 67، وأصبح أحياناً يُرادف مصطلح (كِتاب) ويُوازيه في الدّلالة، فالإنجيل رسالة والتوراة رسالة والقرآن أعظم الرسالات واشملها جميعا.

أما ما خاضه البلاغيون في تحديد مدلولها الاصطلاحي؛ فيرى ابن طباطبا أن الرسالة بمدلولها الإنشائي كالقصيدة إلا أنها لا ترسم بالوزن وأن الشاعر «يسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغتهم وتصرفهم في مكاتباتهم، ولأن للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة... بل يكون متصلا به، وممتزجا معه»(1)، وكذلك كاتب الرسالة مبدع في ربط مادته ممتزجا معها.

والرسالة أنواع يمكن تحديد تسميتها من خلال معرفة مادتها، ومن خلال هوية المرسل إليه وغايتها منه، وما تريده من استثارة فيه، عرفت اتساعا في تلك الأنواع وتعددا بفعل ما تحمله من مادة علمية ومن أشهر الأنواع التي عرفها العرب في شق تاريخهم القديم يمكن حصر أهمها في الرسالة الديوانية والاخوانية والسياسية والأدبية.

أولا: الرسالة الديوانية والاخوانية في الأدب العربي

تعريف الرسالة الديوانية:

الرسائل الديوانية: «هي الرسائل الرسمية التي يكتبها منشئو الديوان في الأمور العليا للدولة، وهي متنوعة حسب أغراضها فمن أشهرها:

أ/ الرسائل الملوكية: وهي التي تكتب على لسان السلطان إلى أحد الملوك أو الامراء في أمر هام، ردا على رسالة أو ابتداء بها، وهذا النوع اهم رسائل الديوان، وأوثقها تعبيرا عن السياسة العليا للدولة، فقد تكون عقدا لمودة، أو تهديدا لغزو أو أمرا بزحف أو اتهاما بممالأة خصم، أو إجابة لمعونة أو فضا لمشكلة أو شكرا على هدية أو نحو ذلك

ب/ العهود: والعهد رسالة من خليفة أو سلطان، إلى من اختاره لولاية منصبه من بعده.

(1).محمد بن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص12.

ج/ المبايعات: والمبايعة رسالة على لسان السلطان إلى الخليفة يبايعه فيها بالخلافة، أو على لسان الخليفة إلى السلطان يبايعه فيها بالسلطنة

د/ التقاليد: والتقليد هو أمر تعيين يصدر إلى احد موظفي الدولة الكبار يسند إليه الوظيفة، مثل رئيس ديوان الإنشاء أو قاضي قضاة الشافعية. وفيه تضفى عليه أثواب الثناء ويبين سبب اختياره، ويوضح له اختصاصه ويوصى بالعدل وقد يقرأ التقليد في مسجد أو بين جمهور حسب أهميته، ومما يشبه التقاليد: التواقيع والمناشير والمراسيم، ولكنها كلها . غالبا . تصدر إلى الموظفين الأصغر.

ه/ البشارات: والبشارة رسالة طلبية شائقة تبشر بمجيء السلطان من رحلة أو غزو، أو تبشر بانتصار الجيش أو وفاء النيْل أو نحو ذلك وقد تقرأ البشارة في المساجد كالخطبة وقد ترسل إلى الآفاق لإعلانها أو قراءتها على الجماهير » (1).

الرسالة الاخوانية:

أما الرسالة الاخوانية في التحفة النثرية والقطعة العاطفية، التي « يكتبها صديق إلى صديقه في مدح أو شكر، أو تهنئة أو تعزية أو شوق أو عتاب أو شكوى، أو مداعبة أو استدعاء أو مجون أو اعتذار، أو لغز أو سؤال علمي أو أدبي أو نحو ذلك مما يكون بين الأصدقاء، وقد راج هذا الضرب من الكتابة الأدبية، وكثيرا ما اتخذه بعض الأدباء وسيلة للتسلية وتمرين القريحة دون أن تكون هناك داعية اخوانية إلى ذلك» (2)، أو كان لمجادلة فنية في بعض المسائل المتنوعة من مثيرات الجدل ومحدثات الاختلاف.

نشأة فن الرسائل:

1. مرحلة العصر الجاهلي:

يعتبر الترسل من بين أشكال النثر الفني في الأدب العربي القديم، وقد بلغنا منه زاد غير قليل، ومن منطلق تعرفنا على واقع منتوج النثر في العصر الجاهلي، لا يمكننا أن نقع على رسائل

(1).محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، ص30.
(2).المرجع نفسه، ص 31.

مأثورة بين أفراده، وقد يعود ذلك لقلة استخدام الكتابة حينها في الأمور الفنية، وكذلك لصعوبة توفير وسائلها، فالعرب« استخدموا الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية، لكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة، تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية»[1]، ويرى الباحثون أن القصة والمثل والخطبة وألوان أخرى من الكتابة الفنية حلت محل الرسالة حينها، وكان ممن عرف الكتابة من أهل البادية « أكثم بن صيفي حكيم تميم وخطيبها وابن أخيه حنظلة كاتب الرسول ﷺ، والمرقش الأكبر، ولبيد بن ربيعة»[2] وغيرهم.

الترسل في العصر الإسلامي الأول:

مع انطلاقة الحياة الجديدة بالمفاهيم المختلفة التي أقرها الاسلام ومن أهمها دعوته الصريحة للقراءة والكتابة في أزيد من خمسين موضع في القرآن الكريم، ليتحول فعل الكتابة مطلبا شريفا، بل واجبا حياتيا عكفت عليه العرب بعد عقود التجاهل الطويلة في حياتهم فتغيرت نظرتهم للحياة وواجباتهم الاجتماعية والعقائدية التي ابتدرتها في كنف الإسلام بفعل الأمر (إقرأ)، وباستقرار الرسول ﷺ بالمدينة أخذ يراسل ويعاهد ويهادن يؤامن ملوك وسادات وأمراء الحواضر من اليهود والعرب والأجانب.

وفي عهد الصديق عرف كثرة الاختلاف والحرب والتعهدات ما جعلهم يكثرون من الكتابة، إضافة إلى رسالة عهد الولاية، التي سنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونذكر هنا أن كاتب أبي بكر الصديق كان عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

أما في خلافة عمر كان تنظيم الدواوين، نشط الخليفة في تولي أمور الكتابة، فكثرت مكاتباته إلى قادته وولاته وعماله وقضاته في كل الأصقاع، خاصة بعد امتداد الرقعة الجغرافية للدولة، وصعوبة أمر التواصل المباشر، فالخليفة من يتولى إملاء الرسالة بنفسه، وزاد عليهما في تدوينها وخاصة وثائق العهود.

(1).شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط10، د. ت، ص19

(2).محمد يونس، في النثر العربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1 ، 1996، ص174.

وتنفتح الفتنة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه على متسع من حاجة استخدام الرسائل بين الفرقاء المتقاتلين أحزابا وجماعات، تقريبا للرؤى واقناعا بالمواقف.

ولم تختلف الرسالة في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة لا في شكلها أو بنائها، ولم تبتعد عن منهج الرسول في استفتاحها بالتعريف بالمرسل والمرسل إليه والحمدلة، أو ما تحويه مادة متنها من آيات وأحاديث وشعر وتشخيص، وكذلك في اقتصارها على الموضوع دون إطناب مع بلاغة تعبير وجمال أسلوب في غير تأنق مقصود وهكذا راحت تقترب من الفنية التي عرفتها الرسالة بعد ذلك.

الرسائل الاخوانية

أما الرسائل الخاصة أو ما كان يكتبه الأفراد لبعضهم البعض من إخوانيات، فيذك الباحثون أنهم لم يقعوا في صدر الإسلام إلا على القليل جدا منها هذه رسالة الإخوانية التي تنسب إلى النبي ﷺ يعزي فيها معاذ بن جبل ويواسيه في ولد مات له، وفيما عدا هذه الرسالة وبعضها« لا تتجاوز عدد الأصابع نرى عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين، يمر مسرعا أو مبطئا دون أن يصل إلينا شيء منه، ولا يعني هذا أنه لم تكن توجد إخوانيات كثيرة، بل لقد كانت وكانت أيضا في تطور »[1].

الترسل العصر الأموي:

عرف فن الترسل ذروة ازدهاره اذ اتخذت الخلافة الاموية الكتابة حلية المجالس وتنافس في اجادتها الخلفاء والوزراء والولاة وكثر الكتاب «فقد كان لكل وال وقائد كاتب، وأحيانا كان يتخذ الوالي في العمل الكبير أو الولاية الكبيرة طائفة من الكتاب»[2]، وزاد الاهتمام بالتفنن في تطويرها واقتناء ابرع كتابها حتى سمي العصر بعصر الرسالة الفنية بنوعيها الديوانية والاخوانية وبات أجود كتابها دررا تقتنص وأثمن الهدايا التي يُرتجى بها التقرب من مراكز السلطة والعطاء.

(1).المرجع نفسه، ص90

(2).المرجع نفسه، ص466

ثم تدرجت الكتابة الديوانية في إجادة التأنق واختيار أبلغ أساليب البيان وصناعة البلاغة والإطناب، «فكانت الظاهرة الأولى هي التطويل وما يطوى فيه من صنعة في بسط التعبير ومده، ثم العناية باختيار اللفظ اختيارا لا يخلو من مبالغة، والعناية بالأسلوب للملاءمة بين ألفاظه ملاءمة تخرج به إلى ضروب من الترادف الصوتي»[1]، حتى إذا ما بلغنا « ديوان هشام بن عبد الملك حتى نحس أنه كان مدرسة كبيرة وهي مدرسة رقي فيها النثر الفني لهذا العصر إلى ابعد غاية كانت تنتظره اذ كان يتولى ديوان الرسائل سالم مولى هشام... وقد اشتهر له تلميذان: ابنه عبد الله وصهره عبد الحميد الكاتب»[2].

وقد اتسمت الرسالة في ذلك العصر بجملة من الخصائص طبعت منتوج كتابها بلونيها الديوانية والاخوانية تمثلت في ما يلي:

1/ وبما أن أغلب الممارسين للكتابة في الدواوين أعاجم حرصوا على إجادة كتاباتهم «مستعينين بما لهم من أساليب في لغتهم، فضموها إلى أساليب العرب ووجوه أدائهم ووجهوا النثر العربي توجيها جديدا ... وأخضعوه لكل الأفكار والمعاني في مختلف أجزائها وترابط عناصرها.»[3]

2/ الاهتمام الزائد بالتأنق اللغوي وحشد آلياته الفنية كالجناس والطباق والسجع والمقابلة وأساليبه المتنوعة شكلا ومضمونا وقد تجاوزها الى الاهتمام بأدوات الكتابة والمراسلة.

3/«الخليفة لم يعد يملي على كاتبه كما كان الشأن في القديم بل أصبح الكاتب يكتب الرسالة ثم يعرضها عليه، ومن ثم لم يعد الضمير في الرسالة ضمير المتكلم، بل أصبح ضمير غائب»[4].

أما الرسالة الاخوانية لم تحظ بعناية الديوانية فلم تكن بكثرتها، خاصة بعد التكالب بين الموالى في تحصيل مكانة وعمل قار يحفظ لهم الحياة الكريمة، ولعل نقطة ضوئها تتمثل فيما تركه عبد الحميد الكاتب من رسائل في سياق الاخوانيات يقوم موروثا يصلح بحثا مستقلا.

---

(1).حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص325.
(2).شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص470
(3).حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص324.
(4).شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص471

ويعد عبد الكاتب و«بدون ريب أبلغ كتاب هذا العصر وأبرعهم وقد أسماه الجاحظ في بيانه عبد الحميد الأكبر، ونصح الكتاب ان يتخذوا كتابته نموذجا لهم، وظلت شهرته مدوية على القرون حتى قيل:" فُتحت الرسائل بعبد الحميد وخُتمت بابن العميد»[1]، ونستحضر في هذا المجال أسماء منها: يحي بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، محمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن يوسف الكاتب، ابن العميد.

الترسل العصر العباسي:

وفي هذا العصر نشط فن الرسالة واتسعت أدوارها، فبات من ضروريات الحكم تنشيط دواوين التواصل السياسي والاجتماعي، ولعل ديوان البريد كان على رأسها، فاتخذت نقاط السلطة شرقا وغربا كُتّابًا للرسالة، حتى كاد يكون لكل عظيم من العلماء والقضاة والأغنياء كاتب رسائل، بل «حتى نساء الخلفاء كن يتخذن الكتاب»[2]، ومع مرور الزمن لم يعد ذلك من مظاهر البذخ والسيادة، بل أصبح من الضرورات التي تستوجبها تعاملات الحياة الحضارية.

وأمام هذا التوجه الواسع للرسالة من أغلب فئات المجتمع، وممارستها تقريبا اليومية حينها، فقد رسخت الديوانية منها حضورها في أغلب التظاهرات السياسية خاصة، فقد كانت « تتناول تعريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة، واخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد والأمان وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجدب، وعهود الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم، وأيضا فإنها أخذت تتناول بعض الأغراض التي كان يتناولها الشعر؛ من تهنئات وتعزيات وشكوى»[3].

الرسالة الإخوانِيَّة:

كالديوانية عرفت الرسائل الإخوانِيَّة في العصر العبَّاسي نمواً واسعاً، وهي إذ تُكتب على أوراق تحمل إلى المخاطب عواطف الكتَّاب ومشاعرهم، من تهنئة أو تعزية، ومن عتابٍ واعتذارٍ

(1).المرجع نفسه، ص474

(2).شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، د.ت، ص465.

(3).المرجع نفسه، ص468

واستعطاف، ومديحٌ وهجاء وغير ذلك، مما كان يساق قبل شعراً، فاحتوت دوره فيها وزاحمته في عموم أغراضه رقة وإنشاءً، بفضل عصبة ممتازة من الكتَّاب أجادوا كتابة الرسائل إجادة بناء الشعراء للقصائد، بفعل الممارسة وسعة الثقافة، ومرونة النَّثر ويُسر تشكيله، فحبروا كلامهم وأجادوه واعتنوا به فكانت رسائلهم قطعا موشاة بالإبداع والحسن.

ويمكن تلخيص مواصفات الرسالة في الملامح التالية:

تعدد أغراض الكتابة، وموضوعاتها بتعدد أعمال الدواوين، ودقة المعاني واستقصاء جميع جزيئاتها، وترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا، والغلو في الإطناب والإيجاز، وسهولة العبارة وانتقاء ألفاظها وشيوع السجع القصير والولع بالمحسنات البديعية، والطباق، والتوجه بضرب الأمثال، وتضمين الأحاديث النبوية، والاقتباس من كلام البلغاء أو شعر حكمي، وزيادة أنواع البدء والختام في الرسائل، من إطالة التحميدات وزيادة ذكر الألقاب والدعاء للملوك والأمراء.

أما أشهر كتابها فأول كاتب لمع اسمه في مطالع العصر عمارة بن حمزة كاتب السفاح والمنصور ولحكمته وذكاه السياسي ولاه المنصور كور دجلة والأهواز وفارس، ومن كُتاب المنصور كذلك مسعدة بن سعد بن صول، ويوسف بن صبيح وجبل بن يزيد، وفي عهد الرشيد عرف يحي البرمكي وابنه جعفر، وكذلك عرف ابن المقفع والجاحظ وغيرهم كثير

الترسل في المغرب والاندلس:

الرسالة الديوانية:

سرت عدوى الكتابة في المشرق إلى أختها في بلاد الأندلس، «بل راح الأندلسيون يبالغون في الصنعة ويمعنون في الخيالات وضروبها، وأتوا بكل غريب في ذلك، ومع ذلك فلم تفقد كتاباتهم كل جمالها وروائها إلا في آخر أيام العرب في الأندلس»[1]، وبذلك تأسست صورة الرسالة الديوانية في الأندلس على أساس أنها البلاغة اللغوية في صنعة متقنة، إضافة إلى جودة الخط ما جعل نظيرتها تكون في مجال التهميش.

(1).المرجع نفسه، ص137

وحتى حينما كانت الأندلس تحت سيطرة ملوك الطوائف بقيت للرسالة نشاطها الكبير خاصة ببعدها عن مواقع القرار السياسي «ومنذ أن قامت دولتا المرابطين والموحدين على ارض المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة اتخذ حكامها الكُتاب لمعاونتهم ومساعدتهم... خاصة بعد أن سيطر المرابطون على الأندلس واحتاجت الدولة المترامية الأطراف إلى من يحرر الرسائل المتنوعة على لسان أمير المسلمين إلى عمال دولته... وحشد خلفاء الموحدين في بلاطهم أقطاب الكُتاب المجيدين ليكونوا لسانا للخليفة الموحدي وترجمانا له في مخاطبة الولاة والقبائل والكافة سواء بالمغرب أو الأندلس»[(1)]. فعرفت الازدهار خاصة « منذ عهد تاشفين أمير دولة المرابطين واستدعائه أبا بكر بن قصيرة رئيس ديوان المعتمد بن عباد وتكليفه برئاسة ديوانه في مراكش عاصمته، وكان آية في البيان والبلاغة، فأرسى في الديوان المراكشي تقاليد الكتابة الديوانية الأندلسية»[(2)].

ولعب إقليم الأندلس التابع للحكم المغربي(المرابطين والموحدين) دورا كبيرا في تزويد عاصمة السلطة بالمغرب بطائفة كبيرة من الكتاب، حتى «كثر كتاب الأندلس في بلاط أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ... حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك»[(3)]، واستخدم الخليفة عبد المؤمن بن علي الندرومي للكتابة أبا القاسم عبد الرحمن القالمي من أهل مدينة بجاية وكان من نبهاء الكُتاب وأبا محمد عبد الله بن جبل من أهل مدينة وهران وأبا علي الأشيري من أهل تلمسان.

ويرى الدارسون طغيان الرسالة الديوانية ذات البعد السياسي«وتسمى الرسائل السلطانية»[(4)]، وغلبت على الرسالة الاخوانية ذات البعد الأدبي «ومن أهم ألوانها في هذه الفترة: رسائل التولية

(1)حسن علي حسن،الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1980، ص113..

(2).شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، د.ت، ص490

(3)عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مصر، 1949، ص173.

(4)محمد مسعود جبران، " الرسائل المزاوجة في النثر الأدبي المغربي والأندلسي"، ندوة التراث المغربي والأندلسي القراءة والتوثيق، أيام 19 .20 .21 افريل 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، المغرب، ، ص441.

والتعيين، ورسائل التوجيهات والوصايا والأوامر الإدارية المختلفة إلى جانب التبصير بشؤون التنظيم الداخلي»[1]، ورسائل العهود والتولية ورسائل المديح والشكر.

رسائل العطف والتشريف: وهي رسائل كسب التأييد وقياس القابلية عند الحكام يلجئون إليها ويخاطبون فيها الرعية وفئات الشعب تأليفا للقلوب ومراجعتهم في مصالح الدولة والمشورة

رسائل الاعتذار والاستعطاف: كرسالة الشاعر ابن زيدون لابن جهور بعد سجنه يستسمحه العفو

الرسالة الاخوانية:

أما الرسالة الاخوانية[*] فقد لقيت في المغرب احتفاءً كبيرا من الكتاب على عكس ما كان حالها في بداياتها في الأندلس«غير واضحة الصورة إلا في أواخر هذا العصر لان صورة الكتابة الديوانية كانت قد غلبت عليها»[2]، ويعود سبب هذا الاحتفاء إلى الاستقرار العلمي والتشجيع الثقافي الذي حظي به الكتّاب ووفرة عددهم في المغرب.

وعرفت الرسالة موضوعات كثيرة لعل أبرزها:

رسائل العتاب: كرسالة الحكم بن عبد الرحمن الناصر بأمر أبيه إلى الفقيه أبي إبراهيم يعاتبه فيها على تخلفه عن حضور حفل رسمي دعي إليه وقد يتجاوز العتاب إلى الهجاء والتقريع واللوم.

رسائل المودة والصداقة: ومن جميل الرسائل الأهلية المعبرة عن المودة الصادقة ما تحمله كلمات رسالة القاضي موسى بن عمران لابنه يعظه.

ونجد من الاخوانيات الاعتذار والشكوى والاستعطاف والتهنئة بالفتح والاستصراخ والاستنجاد وغيرها وقد أوصل تعدادها مؤلف صبح الأعشى « إلى سبعة عشر نوعا هي التهاني والتعازي

---

(1).فايز القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص111

(*) ويطلق عليها أهل المغرب «الرسائل الأهلية وتسمى كذلك الرسائل الوجدانية ويقصدون بها الرسائل التي يدبجها المبدعون إلى أهليهم أو من يماثلهم في المنزلة من الإخوان والنظراء في غرض من الأغراض الاجتماعية أو الثقافية يجلو عواطفهم وأحاسيسهم»، محمد مسعود جبران، " الرسائل المزاوجة في النثر الأدبي المغربي والأندلسي"،ص441.

(2).إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة،بيروت، لبنان، ط2، 1969، ص326

والتهادي والشفاعات والتشوق والاستزادة واختطاب المودة وخطبة السناء والاستعطاف والاعتذار والشكوى واستماحة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض والأخبار والمداعبة وبعض هذه الألوان يندرج تحته عن عواطفه أضرب كثيرة فالتهاني يندرج تحتها أحدى عشر ضربا منها التهنئة بالولايات وبالقدوم من الحج أو السفر وبالمواسم والأعياد والزواج وغير ذلك»[1] .

الرسالة الهزلية: من مثل رسالة ابن زيدون التي وجهها لابن عبدوس، فيها سخرية ووصف بالجهل، أوردها على لسان ولادة .

الخصائص:

بعد الاطلاع على طبيعة تطور التعامل مع الرسالة في المغرب والأندلس ومن خلال مضمون النماذج المقدمة يمكن استخلاص الملاحظات التالية:

–لم يستطع المغاربة والأندلسيون التخلص من تغليب نزعة اللغة الراقية في رسائلهم لذلك جاءت رسائلهم الديوانية بليغة و غنية خالصة.

– أن أغلب كتاب الرسائل فيها من الشعراء و المبدعين إذ لم تكن اللغة عندهم إنتاج لغوي فحسب بل كانت لغة المشاعر والجمال مهما كان موضوع الرسالة ونوعها حتى عدت رسائل الاعتذار من بدائع التعبير.

– أغلب الرسائل أصابها الطول المفحش خاصة و أن الأندلس والمغرب كثيري الاستعمال للرقع والورق وبذلك عرفت لغتهم الإسهاب التعبيري و التعبير إلا في رسائل الشكر و المديح فهي مركزة مختصرة.

. كما «امتلأت الرسائل الأندلسية بالحكم والأمثال والأشعار والاقتباس من القرآن الكريم، وحديث النبي وذكر الحوادث والأيام المشهورة والمفاخر المأثورة، والمناظرات بين أنواع الحيوان وصنوف الجماد والقصص الخيالي، فضلا عن الترادف وشيوع الإطناب في كتاباتهم»[2].

(1)أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص578.

(2).عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي، الأدب العربي في ظلال الأندلس، ص137